حقوق الله تعالى وحقوق رسوله ﷺ

حسن أيت علجت

إنَّ اللّهَ ـ تبارك وتعالى ـ خلَقَ الخلْقَ لحِكْمَةٍ سَامِيَةٍ، وغايَةٍ جليلَةٍ؛ ألاَ وهِيَ عِبَادَتُه وطاعَتُه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ]، ثُمَّ أرْسَلَ ـ جَلَّ في عُلاه ـ حُشُودًا من الأنبياء والرُّسُلِ إلى خَلْقِهِ، لِيُذَكِّرُوهُم ويأْمُروهُم بما خُلِقوا مِنْ أجْلِه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]، وختَمَهُم بالرَّسُول الأكْرَمِ، والنَّبيِّ الأعْظَمِ: محمَّدِ ابنِ عبْد الله ﷺ، فاقْتَدَى بهُداهُم، وسلَكَ سبيلَهُم في الدَّعْوَة إلى عِبَادَة الله وحْدَهُ لا شريك له.

وإنَّ مِنْ مُقْتَضَى هذه العِبَادةِ الَّتي خلقَ اللّهُ ﷻ من أجْلِهَا الخلْقَ: معْرِفَةَ حقُوقِ هذا المُرْسِلِ ـ الَّذي هو اللّهُ ﷻ ـ وحُقوقِ رسُولِه ﷺ؛ والقيامَ بهذه الحُقُوقِ، قِيَامًا لا وَكْسَ فيه ولا شَطَطَ.

ذلك بأنَّ للّهِ تعالى حُقُوقًا مُخْتَصَّةً به، لا يجوزُ أنْ يُشْرِكَهُ فيها غيْرُه، ولرَسُولِهِ ﷺ ـ أيضًا ـ حُقُوقًا ثابتَةً، لا يجوزُ أنْ يُبْخَسَها، كَمَا أنَّ هناك حُقُوقًا مُشتَرَكَةً بَيْنَ الله ﷻ، وعَبْدِهِ ورسُولِه مُحمَّدٍ ﷺ.

مِنْ أجْلِ ذلك؛ فإنَّ اللّهَ ـ جلَّ وعَلاَ ـ كَثيرًا ما يُمَيِّزُ في كتابِه الكريمِ بين هذه الحُقُوقِ، ويفرِّقُ بَيْنَ مَا فيهِ حَقٌّ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَبَيْنَ مَا هُوَ لِلَّهِ ﷻ وَحْدَهُ؛ وذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ]؛ فَالتَّعْزِيرُ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالتَّوْقِيرُ ـ أيضًا ـ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالتَّسْبِيحُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً لِلَّهِ سبحانه وتعالى[1].

وقد ذكَر ذلك الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (299/7) فقال:

(1) انظر: «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة لشيخ الإسلام ابن تيمية (445/2 ـ 446، ط: جامعة الإمام).

«﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾؛ أيْ: تُعِينُوهُ، وتَنْصُرُوه.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تُعَظِّمُوهُ، وتُفَخِّمُوهُ.

هذه الكِنَايَاتُ راجِعَةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، وها هنا وَقْفٌ.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ أيْ: تُسَبِّحُوا الله عَزَّوَجَلَّ؛ يُرِيدُ: تُصَلُّوا له.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بالغَدَاةِ، والعَشِيِّ» اهـ.

وَكذلك جاء هذا التَّمْيِيزُ والتَّفْرِيقُ بين حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ، وحقِّ رسولِه ﷺ في قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سُورَةُ النُّورِ]؛ فَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَالخَشْيَةُ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ لأنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ جعلَ هاتَيْنِ العبادتَيْن القَلْبِيَّتَيْن مُخْتَصَّتَيْن به فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المَائِدَة: 44]، وقال أيضًا: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]، وَقَالَ سبحانه: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

وفي هذا جاء قَوْلُ نبيِّ الله نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقَوْمِه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ نُوحٍ]؛ حيْثُ جَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الطَّاعَةَ له، بيْنَما جَعَلَ العِبَادَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّه عَزَّوَجَلَّ وَحْدَهُ.[2].

ومن بَابَتِهِ أيضًا قَوْلُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ]؛ فجعَلَ الإيتَاءَ لله عَزَّوَجَلَّ والرَّسول ﷺ؛ وسببُ ذِكْرِ الرَّسُولِ ﷺ في الإيتَاء هو أنَّه لا يُبَاحُ إلاَّ ما أبَاحَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ فليْسَ لأحَدٍ أنْ يأخُذَ كُلَّ ما تَيَسَّرَ له، إنْ لَمْ يَكُنْ مُبَاحًا في الشَّريعة.

فالمُرَادُ بالإيتَاءِ هُنَا هو الإيتاءُ الشَّرْعِيُّ ـ لا الكونِيُّ ـ، وهو ما أبَاحَهُ الله سبحانه على لسان رسوله ﷺ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ]؛ فالحَلالُ ما حلَّله الرَّسُولُ ﷺ، والحرَام ما حرَّمَه الرَّسُولُ ﷺ، والدِّينُ ما شَرَعَهُ الرَّسُول ﷺ.

وجعل التَّحسُّب بالله عَزَّوَجَلَّ وحْدَهُ، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ ولَمْ يَقُلْ: ورسُولُه؛ لأنَّ اللَّهَ وحدَه كافٍ عَبْدَه، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْفَالِ]؛ أيْ: حَسْبُكَ،

(2) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (1/67 ـ 68)، و(3/273).

وحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَكَ: اللهُ ﷻ؛ فهو وحْدَهُ كَافِيكُم جميعًا.

ثُمَّ دَعَاهُم إلى أنْ يَقُولُوا: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ فَذَكَرَ أنَّ الرَّسولَ ﷺ يُؤْتِيهِم، وأنَّ ذلك مِنْ فَضْلِ اللهِ وحْدَهُ، ولَمْ يَقُلْ: من فَضْلِهِ، وفَضْلِ رَسُولِه.

ثمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُم: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ - ولم يقُلْ: ورسُولُه -؛ فَجَعل الرَّغْبَةَ إلى الله وَحْدَهُ دُونَ ما سِوَاهُ، كَمَا أمَر بذلك سبحانه في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح][3].

إذا تقرَّرَ هذا؛ فإنَّ أصْلَ الحُقُوقِ الَّتِي لا تنْبَغِي إلاَّ لله ﷻ، أنْ يُعْبَدَ ولا يُشْرَكَ به شيءٌ، كما جاء بيانُ ذلك في حديث «الصَّحيحيْن» عنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟**»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟**» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**».

وهذا هو دِينُ الله ﷻ الَّذي أنْزَلَ به الكُتُب، وأرْسَل به الرُّسُل، إذْ قال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف]، وهذه هي حقيقةُ الكلمَةِ الطيِّبَة «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ»[4].

وعلَيْهِ؛ فَإنَّ العِبَادَاتِ بأسْرِهَا - ما تَعَلَّقَ مِنْهَا بالجَوَارِحِ أو بالقَلْبِ - هي مِنْ حُقُوقِ اللهِ جلَّ وعلا الَّتي لا تصْلُحُ إلاَّ له سبحانه.

وَمن هذه العِبَادَاتِ: الصَّلاةُ بأَجْزَائِهَا مُجْتَمِعَةً ومتفرِّقَةً - فرْضًا كانتْ أو نَفْلاً -، إذْ هي عِبَادَةٌ لا تصْلُحُ إلاَّ للهِ ﷻ وَحْدَهُ؛ فالسُّجُودُ، وَالرُّكُوعُ، وَالتَّسْبيحُ، والدُّعاءُ، وَالقِرَاءَةُ، وَالقِيَامُ، كلُّها حقٌّ للّه تعالى وحده، لا يُشَارِكُه فيها أحدٌ.

وبخُصُوصِ السُّجود جاء حديثُ عَبْدِ اللَّهِ ابنِ أَبي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ رضي الله عنه مِنْ الشَّامِ، سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: «**مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟**»، قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ، فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ، وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَلاَ تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا...**» الحديث[5].

أمَّا الدُّعاءُ - سَوَاءٌ كَانَ دُعَاءَ العِبَادَةِ، أَوْ دُعَاءَ المَسْأَلَةِ وَالاسْتِعَانَةِ - فهو حقٌّ أكِيدٌ للّه ﷻ

(3) انظر: «منهاج السنَّة» (2/ 446 - 447)، و«اقتضاء الصِّراط المستقيم» (2/ 365 - 366، ط: العقل)، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(4) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (2/ 364 - 365).

(5) **صحيح**: رواه ابن ماجة، وابن حبان. انظر: «صحيح الترغيب» (1938).

لا يجوزُ صرْفُه لغيْرِه البتَّة، مهْمَا علَتْ دَرَجَتُه، وسَمَتْ منْزِلَتُهُ، سواءً كان نبيًّا مُرْسَلاً، أو مَلَكًا مُقَرَّبًا؛ لأنَّ اللّه تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [سُورَةُ الجِنِّ]، ويَقُولُ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ غَافِر]، ويَقولُ أيضًا: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاء]، والآياتُ في هذا لا تُحْصَى كَثْرَةً.

ومن هذه العباداتِ أيضًا: الذَّبْحُ ـ وهو أجَلُّ العبادات الماليَّةِ ـ؛ فقدْ قَرَن اللّهُ ﷻ بيْنَه وبيْنَ الصَّلاة ـ وهي أجَلُّ العباداتِ البدنيَّة ـ، وجعَلَ هاتَيْن الشَّعِيرَتَيْن العَظيمَتَيْن لا تنْبَغِيَان إلاَّ له ـ جلَّ وعلا ـ، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَام]، وقال أيضًا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الكَوْثَر]؛ أي: فصلِّ لربكَ، وانْحَرْ لربِّكَ وحْدَهُ لا لغيْرِه.

وفي هذا جاء الحديث الَّذي يرويه الإمامُ مسلم في «صحيحه» (3753) عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ**...» الحديث.

ومن الحقوق الَّتي لا تنبغي إلاَّ للّه ﷻ: الحَجُّ؛ فقد قال اللّه سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]؛ وعلى هذا فلا يجوز الحجُّ لقَبْرِ نبيٍّ، ولا رجُلٍ صالِحٍ، ولا لمَشْهَدٍ من المَشَاهِدِ، وكذلك أجْزَاءُ الحجِّ مثل الطَّوَافِ؛ لا يجوزُ الطَّوافُ إلاَّ بالكَعْبَة كَمَا أمَرَ اللّهُ ﷻ في قوْلِهِ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الحَجّ]، ولا يُقَبَّلُ على وجْهِ الأرْضِ شيءٌ عِبَادةً للّهِ إلاَّ الحَجَرَ الأسْوَدَ، ولا يُتَمَسَّحُ إلاَّ بهِ، وبالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ، ولا يُسْتَلَمُ الرُّكْنَان الشَّاميَّان ـ وهُمَا مِنَ البَيْتِ ـ فَكَيْفَ غَيْرُهُما؟![6].

ومن الحُقُوقِ الخَاصَّة باللّه ﷻ: الحلِفُ؛ فإنَّه تعْظيمٌ للمَحْلُوفِ به تَعْظِيمًا لا يَلِيقُ إلاَّ باللّه جلَّ وعلا؛ لهذا ثَبَتَ من حديث ابن عمر ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[7]، وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «**كُلُّ يَمِينٍ يُحْلَفُ بِهَا دُونَ اللَّهِ: شِرْكٌ**»[8].

مِنْ أجْلِ ذلك، قَالَ ابْنُ مسعود ﷺ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ وَأَنَا صَادِقٌ»[9].

ومِنَ الحُقُوقِ الخَاصَّة باللّه تعالى: التَّوَكُّلُ،

(6) انظر «منهاج السنة» (2/448)، و«الاقتضاء» (2/370).

(7) **صحيح**: رواه الترمذي والحاكم، «الصحيحة» (5/69).

(8) **صحيح**: رواه الحاكم، «الصحيحة» (2042).

(9) **صحيح موقوفا**: رواه الطبراني وابن أبي شيبة. «صحيح الترغيب» (2953)، «الإرواء» (2562).

وهي عِبَادَةٌ قلبيَّةٌ عظيمةٌ لا تَنْبَغِي إلاَّ للّه عَزَّوَجَلَّ، كَمَا أمَرَ بذلك سبحانه، فقال ـ حكاية عن الرُّسل الكرام عليهم السلام ـ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة إبراهيم]، وقال أيضًا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة].

أمَّا الحقُّ الَّذي يختصُّ به الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام، فهو التَّعْزِيرُ والتَّوْقيرُ، كما أمَرَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ بذلك في قوْلِه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [سورة الفتح]، وفي قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف].

و«التَّعْزِيرُ اسْمٌ جَامِعٌ لنَصْرِه، وتَأْييدِهِ، ومَنْعِهِ مِنْ كُلِّ ما يُؤْذِيهِ.

والتَّوْقِيرُ اسْمٌ جامِعٌ لِكُلِّ ما فيه سكِينَةٌ، وطُمَأْنِينَةٌ من الإجْلال، والإكْرَام، وأنْ يُعَامَلَ مِنَ التَّشْرِيفِ، والتَّكْرِيمِ، والتَّعْظِيم بِمَا يَصُونُهُ عَنْ كُلِّ ما يُخْرِجُه عَنْ حَدِّ الوَقَارِ»[10].

والتَّعْزِيرُ ـ أيْضًا ـ مِنْ حُقُوقِ الأَنْبِيَاءِ عامَّةً؛ فقد قَالَ اللّه عَزَّوَجَلَّ في خِطَابِهِ لِبَنِي إسْرَائِيلَ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة المائدة].

أمَّا الحقُوقُ المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ اللّهِ تعالى، وعبْدِهِ ورسُولِه مُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، فهي: الإيمَانُ، والتَّصْدِيقُ، والمحبَّةُ، والطَّاعَةُ، والإرْضَاءُ[11].

❖ أمَّا الإيمَانُ؛ فلِقَوْلِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء]، وقوله أيضًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

(10) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول» (ص 427 ـ ط: المكتب الإسلامي).

(11) انظر: «منهاج السنة» (2/447).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [سورة النور]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات]، وقوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحديد].

❖ أمَّا التَّصْدِيقُ؛ فلقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب].

❖ أمَّا المَحبَّة؛ فلقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التوبة]، ولِمَا جاء في حديث «الصَّحيحَيْن» عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

❖ أمَّا الطَّاعَةُ فلِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النساء]، ولقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النساء]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب]، ولِقَوْلِه سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الفتح].

❖ أمَّا الإرضاءُ: فلِقَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة التوبة].

فهذه هي تَفَاصيلُ الحُقُوقِ الثابتَة للّه عَزَّوَجَلَّ، ولِرَسُولِه ﷺ: حَقَّان مُخْتَصَّان، وحقٌّ مُشْتَرَكٌ، فلا ينْبغي لِمُسْلِمٍ أنْ يَجْهَلَهَا، ولا أنْ تَلْتَبِسَ عليه؛ فَيَخْلِطَ بعْضَهَا ببَعْضٍ، ويجْعَلَ المُخْتَصَّ منها مُشْتَرَكًا؛ فيَقَعَ في الغُلُوِّ والإفْراطِ، أو في الإجْحَافِ والتَّقْصِير، وكِلاَ طَرَفَيْ القَصْدِ ذميمٌ، وخيْرُ الأُمُورِ أوْسَاطُها.

وقد لَخَّصَ الإمَامُ الربَّاني، وشَيْخُ الإسلام

الثَّاني ابنُ قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألةَ تلْخيصًا شافيًا، وذلك في قصيدتِه النُّونية في السُّنَّة، والمَوْسومَةِ بـ«الكافية الشَّافية في الانْتصَارِ للفِرْقَةِ النَّاجية»؛ فقال:

الرَّبُّ رَبٌّ والرَّسُولُ فَعَبْدُهُ
حَقًّا وليْسَ لَنَا إلهٌ ثَاني
فَلِذَاكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الـ
ـرَّحْمَن فِعْلَ المُشْرِكِ النَّصْرَانِي
كَلاَّ وَلَمْ نَغْلُ الغُلُوَّ كَمَا نَهَى
عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الكُفْرَانِ
لِلَّهِ حَقٌّ لا يَكُونُ لِغَيْرِهِ
وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ
لا تَجْعَلُوا الحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا
مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ ولا فُرْقَانِ
فَالْحَجُّ للرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ
وَكَذَا الصَّلاَةُ وَذَبْحُ ذَا القُرْبَانِ
وَكَذَا السُّجُودُ ونَذْرُنَا ويَمِينُنَا
وكَذَا مَتَابُ العَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ
وكَذَا التَّوَكُّلُ والإنَابَةُ والتُّقَى
وكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ
وكَذَا العِبَادَةُ واسْتِعَانَتُنَا بِهِ
إيَّاكَ نَعْبُدُ ذَانِ تَوْحِيدَانِ
وعَلَيْهِمَا قَامَ الوُجُودُ بِأَسْرِه
دُنْيَا وأُخْرَى حَبَّذَا الرُّكْنَانِ
وكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ والتَّ
هْلِيلُ حَقٌّ إلَهِنَا الدَّيَّانِ
لَكِنَّمَا التَّعْزِيرُ والتَّوْقِيرُ حَـ
ـقٌّ للرَّسُولِ بِمُقْتَضَى القُرْآنِ
والحُبُّ والإيمَانُ والتَّصْدِيقُ لا
يَخْتَصُّ بَلْ حَقَّانِ مُشْتَرِكَانِ
هَذِي تَفَاصِيلُ الحُقُوقِ ثَلاَثَةٌ
لا تَجْهَلُوهَا يا أُولِي العُدْوَانِ

والله أعلم بالصَّواب، وإليه المَرْجِعُ والمآب.